



اسمه سهم بن كنانة. مؤرخ ومؤلف سيبنخ اسمه بعد نحو قرن من الزمان. فيما يلي فصل جديد من كتاب له بعنوان «الإعلام، بخذلان المسلمين لأهل الشام»، سيصدر في عام 1534 للهجرة، 2210 للميلاد (نشرت من قبل هذه الصحيفة فصلين من الكتاب).

قال سهم بن كنانة: لما ضرب الليل على الشام بكلكِلِهِ، وبقي السفاح يجرّعه الموت من معقله، بمساعدة من سلاطين ذاك العصر، لاسيما السيسى والى مصر، اشتَدَ الخطبُ على أهل الشام، وبرحَتْ بهم الآلام، ولم يكونوا يقاتلون السفاح وحده، بل شرائم من الروافض كانوا جنده، وكانوا من كل حدبٍ ينسلون، ليحموا مراقدَ أئمِّتهم فيما يزعمون، فتبأ لهم ولما يشركون، وقد أفسد هؤلاء في الأرض، قتلاً للنفس وانتهاكاً للعرض، وشردوا آلاف الآلوف من أهل السنة، ثاراً للحسين فيما زعموا والتماساً للجنة، واستجابةً لأمر الولي الفقيه، الذي كان الشيعي يعظمه ويتقيه، ولم يكتشف المسلمون ما في صدورهم من مقت، كما اكتشفوه في الشام ذلك الوقت، وكان الفرس وأشياعهم ينكرون ذلك، ويروّجون أنّ دينهم مذهبٌ كذهبٍ مالك، وأنّ حربهم على سنة الشام سياسية، ومن قال بغير ذلك فلديه طائفية، وحدثني أبي أنّ من المسلمين من صدقَ الزعم، وضرب في الحق بأوفر سهم.

قال سهم بن كنانة: وبالرغم من كثرة السفاحين في ذلك الزمن، لاسيما في مصر والعراق واليمن، إلا أن والي الشام كان أطوّلهم عهداً، وأفظعهم حقداً، وأكثرهم لدماء المسلمين سفكاً، وأقربهم لليهود غاصبي القدس وعكا، وكان الكفار يمدّونه في الغي، ولا يدخلون عنه بشيء، وما ذلك إلا لتقر عينا إسرائيل، وتهنأ بالساحل والمثلث والجليل، فلم يكن ثمة شك في عمالته، ولا في خسنه أبيه وحقارته، إذ ثبت أنه باع صهيون الجولان، فليس في خيانته لل المسلمين قولان، وما كانت إسرائيل لتجد خيراً منه وكيل، فاتخذته لها خليلاً، واصطفتْ لها عملاً، فكان أفضل الحاكمين لها سلماً، وأقربهم منها رحمة، ولهذا طال كابوسُ الشام، واستُشهدَ خلقٌ كثيرٌ من أهلها الكرام، فقد كان العالم وقتها لا يردد لليهود أمراً، ولو أحال الشرقَ من أجلها قبراً.

قال سهم بن كنانة: وكان المهاجرون من الشام يجدون في مصر ملذاً، وفي كنفٍ واليها مرسى إنقاذاً، وقد استقبلهم أحسن استقبالاً، وسمح لهم بالعمل والتعليم والانتقال، وأحسن لهم إحساناً، فكانوا مع المصريين إخواناً، لكن أعداءَ الملة وعُباد الكرسي، ثاروا على الوالي الصالح مرسى، وقيّدوه بالأصفاد، وقتلوا أنصاره قتل عاد، وانتصروا لسفاح الشام، وصوّبوا إلى

صدر السوريين السهام، فما كان لهم من الفرار بُدُّ، فالذل لا يطيقه سوى العبد، واشتروا في البحر السفائن، فلا مُقام بدار خائن، ولعل الله يقضى لهم فتحا، ويشفي لهم جرحا، ويرد بأس الذين كفروا، فلله ما لقوا وما صبروا.

قال سهم بن كنانة: وصل بعضهم إلى شواطئ الغرب، بعد أن ذاقوا مرارة الكلب، وعزّت على بعضهم المطالب، وغضّت بهم المراكب، وأظلّهم ليل داج، وأحاطت بهم الأمواج، وشعروا أنهم وحيدون في عرض البحر، وتساءل بعضهم: ما الفرق بين الغرق والنحر، وعلا نحيب الأطفال، ودب الرعب في عيون الرجال، وانهمرت الدموع من عيون الصبايا، فلا آمال بعد اليوم ولا حكايا، وطفق بعض الرجال يدعوا إلى السكينة، ويحاول بث الطمأنينة، ثم تعلّت صيحات الشهادة، حمداً لله على ما أراده، وما هي إلا هنّيّة حتى انقلب المركبُ وغرق الجميع، وامتزج ماء البحر بماء الدمع، وكأن شوقي عنهم بقوله عندما رثى أدرنة العثمانية بعد سقوطها في أيدي الصليبيين:

ومهاجرين تنكّرت أوطانُهم

ضلّوا السبيل من الذهول وهاموا

السيفُ إن ركبوا الفرار سبيلُهم

والنطعُ إن طلبوا القرار مُقامُ

يتلقّتون مودعين ديارَهم

واللحظُ ماءُ والديارُ ضرَامُ

قال سهم بن كنانة: ومن عجب أن كلّ ما أصاب أهل الشام لم يحرّك في المسلمين ساكنا، بل كان بعضهم يقول: عسى أن أكون في بلدي آمنا، وكأن المؤمنين أجساد متفرقة، لا أمة أخذ الله عليها في الإخاء موثقة، لتقاتل المحتلين والغزاة، فإذا مات منها من مات كُتُبَت له الحياة، غير أنها أوغلت في النكран، وأسرفت في الخذلان، وكأن الشام ليست من العرب، أو كأنها ليست مسلمةً باركها الله عبر الحقَّ، فليت شعري أي عقاب سينالها، وكيف سيكون في الآخرة مآلها؟

قال سهم بن كنانة: لكن الله يفضله يحيى الباب، ويفتح من رحمته ألف باب، فقد أخبرني أبي عن جدي أن المجاهدين في إدلب من أرض الشام قد هزموا الباطنيين شر هزيمة، وازدادوا من ذلك بأساً وعزيمة، فمضوا شامخي الجباء، يحرّرون دمشق وحماء، وتولّت في الشام الفتوح، وأصابت العدو القروح، وما ذلك إلا مصداقاً لحديث خير الأنام، "إن الله قد تكفل لي بالشام".

العرب القطرية

المصادر: